مفارقة ازدواج الإشارات ومقارباتها التداولية في شعر إبراهيم أحمد مقري: مفارقة الرموز الصوفية الخمر أنموذجا

مصطفى إبراهيم شعيب
طالب الماجستير قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلُّو زاريا نيجيريا

المستخلص:
يسعى هذا البحث إلى بيان مفارقة ازدواج الإشارات ومقارباتها التداولية في شعر إبراهيم أحمد مقري؛ مفارقة الرموز الصوفية الخمر أنموذجا، استوظف الباحث المنهج التداولي في الحديث عن ظاهرة المفارقة والمقاربة التداولية، ومفارقة ازدواج الإشارات، ومفارقة الرموز الصوفية عند الشاعر، ويتحدث البحث عن الشاعر وشاعريته وخصائصه الشعرية ومكوناتها، كما يهدف إلى تقديم تصورات علمية مفارقية ومقارباتها التداولية، فيما تحمل من الإشارات والمعاني المزدوجة، عبر الرمز الصوفي المتمثل في الخمر، ومن أبرز ما توصلت الورقة ما يلي: أن الشاعر أخذ النظرة الميتافيزيقية إلى الواقع الفيزيائي، حيث صور السكر المادي الناتج عن الخمر إلى السكر المعنوي الناتج عن العرفان الرباني، فربط بين العوالم الروحية المتمثلة في الكشف والأحوال والترقي والعوالم المادية المتمثلة في العنب والخمر والسكران لتمثيل النشوة والطرب بالفناء الصوفي في الله ورسوله. أن الشاعر جسد السنفونية الدرامية المفارقية بالعقل اللاواعي في الرمز الخمري ليفجر للمتلقي بحرا تداوليا يحمل في بوتقته تشفيرا دلاليا. وأن الشاعر يرسم في شعره مفارقة مملوءة بالتناقض اللفظي والمعنوي، حيث انتشى الأحوال الباطنية الروحية بالأحوال الظاهرية المادية، التي غالبا ما يكون مرجعها إلى المعاصي والمحارم، إلا أنه ربطها بالقرائن السطحية والعميقة يعثر عليها المتلقي بعد التأويل والتفسير الدقيق.
الكلمات المفتاحية: الشاعر، المفارقة، المقاربة التداولية، مفارقة ازدواج الإشارات، مفارقة الرموز الصوفية ومقارباتها التداولية الخمر أنموذجا.

THE PARADOX OF DUAL SIGNS AND THEIR PRAGMATIC APPROACHES IN THE POETRY OF IBRAHIM AHMED MAKRI: SUFI SYMBOLS, WINE AS A MODEL

MUSTAPHA IBRAHIM SHUAIBU
Arabic department Ahmadu Bello University Zaria Nigeria

Abstract:
This research seeks to clarify the paradox of dual signs and their pragmatic approaches in the poetry of Ibrahim Ahmed Makri; The paradox of the Sufi symbols, wine as a model, the researcher used the pragmatics methodology to talk about the phenomenon of paradox and the pragmatics approach, the

paradox of dual signs, and the paradox of the Sufi symbols of the poet. The dual signs and meanings, through the mystical symbol represented by wine, and the most prominent findings of the paper are the following: that the poet took the metaphysical view to the physical reality, where he portrayed the physical drunkenness resulting from wine into the moral drunkenness resulting from divine gratitude, so he linked the spiritual realms represented in revelation. And conditions, advancement, and material worlds represented by grapes, wine and drunkenness to represent ecstasy and rapture in the Sufi annihilation of God and His Messenger. The poet embodied the paradoxical dramatic symphony with the unconscious mind in the wine symbol to blow the recipient a deliberative sea carrying in his crucible a semantic cipher. And that the poet draws in his poetry a paradox full of verbal and moral contradiction, where the inner spiritual conditions are elevated with the apparent material ones, which often refer to sin and forbidden, but he linked them to superficial and deep clues that the recipient finds after interpretation and accurate interpretation.

Keywords: *the poet, the paradox, the pragmatic approach, the paradox of dual signs, the paradox of the Sufi symbols and their pragmatics approaches, the wine as a model.*

المقدمة:

كان جل الدراسات اللسانية تتألف من المفردات والتراكيب والدلالة، فظهرت المفارقة وتنوعت أنماطها، عندما ازدهر الفكر العربي في الوسائل التعبيرية، فأخذت الدراسة اللسانية مسارا حديثا تواصليا، فالسياق من أولى نواتها لفك شفرات التعبير، كما أن التداولية عنيت بمأثرات الكلام ومنجزاتها التواصلية، خلال أقنعة تشفيرية، فتُعد المفارقة من الانحرافات اللغوية التي تخلق دلالات عديدة يتحرك من خلالها رسم إبداعي للكشف عن جماليات لغوية، وتكون العلاقات فيها متناقضة ومتداخلة.[1] فالدراسة التداولية تميل إلى اللسانية التواصلية لأنها تسختدم اللغة عن طريق مباشر أو غير مباشر، واللغة لا يتم تناولها إلا عن طريق التواصل عمليا أو رمزيا أو سيموطيقيا، حتى تصل الرسالة إلى المتلقي، كما أن التداولية هي العلم الذي يدرس المعنى، مع التركيز على العلاقة بين العلامات ومستعمليها والسياق، أكثر اهتمامها بالمرجع أو بالحقيقة، أو بالتركيب.2

تتميز اللغة الصوفية عما يعرفه علماء اللغة، بمميزات لغوية وبلاغية، حيث يعبر الصوفيون عن أغراضهم بلغتهم الخاصة للإشارة إلى مراميهم الذوقية وأحوالهم الروحية، ومواجيدهم النفسية، وتكتظ الرموز عند أهل الطريق، للتعبير عن الإشارات والتلويحات والتجربة القلبية والرقي الروحي، والإلهام

1- شكوري سيد عدنان والآخرون، (2017)، **المفارقة التصويرية في الشعر السياسي عند نزار قباني**، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد 42، ص1.5

2- حمداوي، جميل (2015م)، التداوليات وتحليل الخطاب، الطبعة الأولى، الناظور، المغرب، ص8.

الإلهي.[3] يصور الشاعر ما عايشه من عوالم روحية ووجدانية ومثالية في مفارقة ذات مقاربة تداولية، فخلق من هذا المسار رموزا وأضفى عليها أسلوبا مفارقيا موشحا بالإشارات، حيث فتح نوافذ الجدال بين عالم العلوم وعالم المعارف، إذ صرف المعاني الباطنية إلى الظواهر المرئية بدلائل خفية لا يظهر مغزاها إلا إذا استوظف العقل واستنبط من السياق معان غير مباشرة فعندها تظهر المفارقة في مقارباتها التداولية.

وقد استخدم الشاعر مفارقة رمز الخمر، في قصائد، التي دائما يعود مغزاها إلى الرمز الذهني والمجازي المفارقي، لأن غالبية الترميز تعود إلى الطبيعة فأحال الشاعر عن ذلك إلى ما هو أغرب وأجذب للعقل في معظم قصائده وهي الخمر تعبيرا عما يجيش في قلبه ليوظف عقل المتلقي ردحا من الزمن للعثور على المعاني المنشودة.

تتحدث هذه الورقة عن الشاعر وشعره، وخصائصها الفنية، كما أنها تعالج مفهوم المفارقة والمقاربة التداولية، ومفارقة ازدواج الإشارات، ومفارقة الرموز الصوفية ومقارباتها التداولية الخمر أنموذجا.

نبذة عن الشاعر ونشأته:-

هو إبراهيم أحمد مقري بن سعيد بن خالد بن أحمد بن حمزة من سلالة عربية مغربية،[4] من مواليد عام 1976م، في مدينة زاريا، إحدى محافظات ولاية كدونا، نيجيريا، وقد عبَّر الشاعر عن حبه الخالص لمدينه، حيث يقول:

سلامٌ وأدْلى بِالقَوافِي سَلامِيا إلى جَانبِ الوادي إلى أهلِ زِاريَا
إلَهِي لو بَين الجِنَانِ بأسْرِها تُخيّرنِي أخْتارُ زِاريَا رَاضِيا
بِها والدِي أمُّي وعمّي وخَالتِي وإخْوةُ قَلْبِي قَاطِنُون وخَالِيا[5].

نشأ إبراهيم أحمد مقري في أسرة ذات ثقافة دينية اجتماعية أخلاقية منتسبة إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم**6** مما أهَّله إلى أن يكون عالما، وشاعرا، وكاتبا، وأديبا، ومثقفا.**7**

وتعلم على يد والده الشيخ الأستاذ أحمد مقري مبادئ الدين واللغة العربية وتعلم كذلك على يد عمه الأستاذ الدكتور آدم سعيد خالد، كما هي العادة في معظم الأسر المتعلمة بشمال نيجيريا.

بل كان له باع في التعليم الغربي؛ حيث سجَّله والده في المدرسة الابتدائية (مُودُوجِي) ومدرسة (رَافِنْ دَاطِ كَشِنَا) وذلك للتنقل التعليمي لوالده، واستمر الاعدادية بكلية (كُفَينَا)، وأعاد الاعدادية بكلية الدراسات

---

3 – ينظر أحمد، حمادة (2014م)، **الرمز الصوفي بين الرؤية والإبداع الفني**، مجلة جامعة الوادي، كلية الإلهيات، الجزائر، دون العدد، ص276–280. نصر، عاطف جودة (1978م)، **الرمز الشعري عند الصوفية**، الطبعة الأولى، دار الأندلس، بروت لبنان، ص350–400.

4 – أبه، أبوبكر علي (2016م)، **الشعر العربي في إمارة زاريا ــ نيجيريا ــ دراسة بيانية لأسلوب التشبيه في بعض أشعار إبراهيم أحمد مقري زاريا**، المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية، الإمارات العربية المتحدة دبي، ص106.

5 – مقري، إبراهيم أحمد (2012م)، **خلاصة العشرينيات**، الطبعة الأولى، دار الاتحاد، القاهرة، ص221.

6 – سجاد أبوبكر ناصر، (2016م)، "البنية الإيقاعية وتشكيل الدلالة الشعرية في ديوان العشاريات للسيّد إبراهيم مقري" رسالة الدكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها جامعة بخت الرضا السودان، ص13.

7 – تجاني يوسف (2014م) "المطابقة النحوية ودلالتها دراسة تطبيقية على شعر إبراهيم أحمد مقري" رسالة الدكتوراه، معهد اللغة العربية جامعة الدول العربية، مصر، ص12.

العربية جماعة نصر الإسلام زاريا،1990م. وفي الوقت نفسه سجلَّه والده في مدرسة الفيضة الإسلامية حيث أكمل حفظ القرآن الكريم بها،**8** ويقول حول مدرسة [9]الفيضة:

ألا ليت شعري من لصب وعودة لأيام كان الماء في النهر جاريا
لأيام أنحو في ذهوب وجيئة لحفظ كتاب الله (فيضة) زاريا
ويدلظني الإرهاق عنها مواليا فتزجوني الآمال نحو أماميا

أأحمد إبراهيم بالله بلغ الـ ـشعاب التي أهوى فصوص سلاميا
ويا زاجل الشملال مني إلى (جماعة النصر) واقرأها سلام فؤاديا
سلام..وهل غير السلام لمعهدي أجازيه من بعدٍ صدر ما فدى ليا
قضيت به شطر الشبابة أرتوي وأنهل من منهله العذب صافيا
فذاكم زفير القلب أني أراكم أفي حالة التّسهاد أم في مناميا.10

وتراه يقول في كلية الدراسات العربية جماعة:

واستمر بالثانوية في الأزهر الشريف عندما حصل على القبول التأهيلي واجتاز عليها عام 1993م – 1995م، وقد التحق بجامعة الأزهر الشريف، كلية اللغة العربية، قسم الصحافة والإعلام وحصل على اللسانيس 1995م - 1999م، ومن ذلك قوله:

فعبدك إبراهيم يا سيدي على جرف هار فمُدَّ له يدا
أتمنح برًّا هام فيك امتيازة بمدرسة التقوى وتعطيه مقعدا
أتمنحه في حب طه امتيازة فقد منحته أزهر العلم جيدا.11

ومن ثم رجع إلى نيجيريا لخدمة الوطن، في جامعة أحمد بلو زاريا، كما هو المعهود لخرّيجي الجامعة في نيجيريا، عام 2001م، ونال درجة الماجستير في اللغة العربية قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة أحمد بلُّو زاريا عام 2002م – 2005م، وألقى عصا تسياره بقسم اللغة العربية كلية الآداب والدراسات الإسلامية جامعة بايرو كَنُو حيث حصل على درجة الدكتوراه عام 2006م –2009م.**12**

شاعريته ومراحلها:-

8- أبه علي أبوبكر، (2016م)، مرجع سابق، نفس الصفحة.

10- مقري، مرجع سابق، ص221.

11- إبراهيم أحمد مقري، (2012م)، المرجع السابق، ص190.

12- متقى إبراهيم، (2017م) مرجع سابق ص28

تُعد الشاعرية من القدرة الصناعية التي أجريت على التجويد والكمال الشعري المنوطة بالهوة النفسية، وتم فيها الحذق الإبداعي خلال ألفاظ سهلة المخارج المندفعة في رونق الفصاحة المثيرة إيقاعها الخليلي أو الحديث المثير للعاطفة بعبارته الراقية وأساليب جيدة مملوءة بخيال مرهف **13**.

وقد نال إبراهيم أحمد مقري مقدرة الشعر والشاعرية من وجهتين: الوراثة والبيئة، فأما الوراثة فقد كان جده سعيد خالد شاعرا وأبوه شاعرا وعمه شاعرا، وخاله شاعرا وشيخه الشريف الحسيني شاعرا، ومعظم إخوته وختنته شواعر.

أما البيئة ثبت أن معظم شيوخ وعلماء زاريا شعراء وأن معظم من تربى الشاعر على أيديهم وكتبهم شعراء كابن الفارض وأبوحيان التوحيد وابن الرشد والعقاد والشعراوي والبوصيري والفازازي والشيخ إبراهيم انياس.

وكانت مدارسة الشاعر لدواوين القدامى والمحدثين من الشعراء والشواعر، مما قوى شاعريته، فإن دلَّ فإنما يدل على أن الشاعر ورث الشعر من جانب الأبوة والأمومة والشيوخ والشعراء المتقنين**14**،

وقد مرت تجربة إبراهيم أحمد مقري بالشعر، في المراحل الآتية:

مرحلة النشأة:-

بديهي أن إبراهيم أحمد مقري عهده الأول بالشعر لا يكاد يخرج من تلك القصائد النبوية واللغوية والأدبية المتمثلة في كتب التي تُدرس في الدهاليز، المسمى بكتب اللغة، والدواوين الموجودة في مكتبة والده، والأشعار التي تعلمها في وحلة الدراسة في الكلية، والقصائد التي يقرضها والده، وكان مولعا بأبي العلاء المعري، كما أولع به والده.

فتأثر بهذا وذاك في قراءته تلك القصائد والدواوين، جريا على عادة الشعراء في العصور الأدبية الذهبية، كثيرا ما يجاور والده بنظرة تأملية عندما يكتب الشعر ليتعلم، فبدأ يحاكي والده في نظم الشعر، إلا أن هذه المحاكة ألعوبة لما فيها من ركاكة الأسلوب واعوجاج التراكيب وعدم تحديد الغرض، بعيدة عما يقرأه ويكتبه والد الشاعر الشيخ أحمد مقري.

مرحلة التطور:-

بداهة أن إبراهيم مقري تطورت محاولاته الشعرية عندما حسُن شعره في سبكه وقويت أساليبه وظهرت عاطفته فيما يقرضه، وقد سانده على ذلك والده وعمه، وظهر ذلك في أشعاره التي قالها قبل رحيله إلى الأزهر الشريف في المناسبات والمدائح النبوية، وأوائل التي قالها في الأزهر الشريف، كديوان العشاريات، وديوان صدى الهيمان، وديوان أوتار الحياة، كل هذه الدواوين تنبئ عن تطوره الشعري.

مرحلة النضوج:-

ظهرت لدى إبراهيم أحمد مقري شعرية عارمة لما خاض الفضاء السمائي في منطلق الشعر الحقيقي، برزت عبقريته الفذة خلال مجاراته شعراء العرب في الأزهر الشريف، بصالون وادي عبقر، حتى دنت رتبته إلى البرج العالي في سماء الشعر العربي النيجيري**15**، وحضرة الشيخ الشريف إبراهيم صالح حينا آخر ممتصا فصوص الشعر في معجزة الشيخ إبراهيم انياس الخولكي، وذلك إزاء تجليات الشاعر في غزله النبوي.

مكونات شاعريته:

13- أبي الفرج قدامة بن جعفر (1956م)، نقد الشعر، تحقيق: خفاجي محمد عبدالمنعم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ص64-77.

14- عمر محمد الأول، (2019م)، تجليات الإقتباس القرآني "في جمع الخردة في تخميس البردة " شعر إبراهيم أحمد مقري "دراسة بلاغية تطبيقية" مجلة الرانق، العدد الرابع، ص150.

15- سفيان محمد الرابع، (2015م)، مرجع سابق، ص78.

ومما لا غبار فيه وجود مؤثرات ذات علاقات وتيرة في تكوين شاعرية إبراهيم أحمد مقري منها تعود إلى مؤثرات بيولوجية وأخرى ديناميكية على سبيل البيئة والحياة الاجتماعية، التي عايشها الشاعر في أجواء مختلفة.

خصائص الديوان:-

لا بد لأي ديوان قبل أن يسمى ديوانا أن يشمل ذخائر الألفاظ الموحية لدقائق الأفكار والمعاني، وهذه الألفاظ بمثابة جسر يربط بين الأفكار والمعاني، ويتميز هذا الديوان بمميزات وخصائص أغلبها الاتسام بروح التجديد والتطور وصولا إلى الثورة اللجوج في الصياغة والمضمومون على الشعر العربي النيجيري، ويمثل ديوانه ذوبانا عاطفيا تشعله الشبابية عبر ميكانيكية فنية**16**، وأهم هذه الخصائص:

- التكرار الأسلوبي
- الإيقاع والموسيقى الشعرية
- الصورة الفنية
- الغزل النبوي
- السرد الدرامي
- التناص الشعري
- الرمز الشعري.

مفهوم المفارقة: المفارقة في اللغة:

تتمثل التعريفات اللغوية لمادة المفارقة في المعاجم العربية، منها:

فرق: الفرق: موضع المفرق من الرأس في الشعر. والفرق: تفريق بين شيئين. الفِرق: طائفة من الناس ومن كل شيئ. والفرقان: كل كتاب أنزله الله وفرق بين الحق والباطل. والفريقة: تمر يُطبخ بأشياء يُتداوى بها. والفروقة لحم الكُلْية.[17] فرق: الفاء والقاف والراء أصل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين. والفارق: الذي يفرق بين الأمور أي يفصلها.[18] فرق: بدأ المشيب في مفرقه. الفرق: سابقها أي فارقها. فعيل بمعنى مفاعل، ومن المجاز وقفته على مفارق الحديث أي على وجوهه الواضحة.[19] وبناء على التعاريفات السابقة يتبين من معنى المفارقة لُغويا بأنه هناك علاقة التفريق بين المعنى اللفظي والسياقي تحدث تداولا دلاليا كما في الفرق بين الحق والباطل، وأن جذورها تتوحد في معنى واحد وهو التمييز؛ أي التمييز بين المعاني المادية والميتافيزيقية.

مفهوم المفارقة في الاصطلاح:

لم ترد كلمة المفارقة في المعاجم اللغوية القديمة مصرحة بما تدل عليه في هذه الآونة، بل هي مرتبطة بمصطلحات جديدة في الاستعمال اللفظي، ومع ذلك فلا يُنكر وجود معانٍ لهذه الألفاظ أو التقنيات رجوعا إلى المصطلحات البلاغية أو الأدبية أو فقه اللغة العربية قديما، أمثال الكناية والتهكم والسخرية والرمز والمجاز والاستعارة والأضداد، فمعظم هذه المصطلحات تنبئ بمعان لسانية اجتماعية ونفسية في توطيد معان خفية في نفس الأديب أو الألسني.

16- إبراهيم أحمد مقري، (2012م)، مرجع سابق، ص10.

17- الفراهيدي الخليل بن أحمد، (2003م)، **كتاب العين مرتبا على حروف المعجم**، تحقيق: هنداوي عبدالحميد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، الجزء الثالث، بيروت لبنان، ص217-218.

18- ابن فارس، مرجع سابق، ص494-495.

19- الزمخشري جار الله محمود، (1998م)، **أساس البلاغة**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، الجزء الثاني، بيروت لبنان، ص20-21.

فمن أجل ذلك تُعد المفارقة من الانحرافات اللغوية التي تخلق دلالات عديدة يتحرك من خلالها رسم إبداعي للكشف عن جماليات لغوية، وتكون العلاقات فيها متناقضة ومتداخلة.[20] ويكاد يكون مفهوم المفارقة مضطربا وغامضا الوجهة ومتعدد الأشكال، ويعبر عنها مويك بقوله: "إن المفهوم السائد في القرن العشرين يبدو مفهوم مفارقة نسبية بل غير ملتزمة، فنحن نقرأ المفارقة: نظرة في الحياة تجد الخبرة عرضة لتفسيرات متنوعة، ليس فيها صحيحة دون غيرها، وإن تجاور المتنافرات جزء من بنية الوجود، وأنها قول شيئ والإيحاء بقول نقيضه، قد تجاوزته مفهومات أخرى، أو قول شيئ بطريقة تستثير لا تفسيرا واحدا في سلسلة لا تنتهي من التفسيرات"[21]. وأنها "لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثر تعقيدا تستخدم لقتل العاطفة المفرطة والقضاء على المظهر الزائف ولفضح التضخيم الفكري، وتعيد التراث الفني الموروث بصياغته وتحويله وتشكيله وتفسيره من جديد"[22].

يتجلى في التعريفات السابقة أن المفارقة نوع من العدول الدلالي يتضمن معنين، أولاها سطحية ، وأخراها عميقة، لكن السياق هو الذي يفرق بين تنافرها فتعطيها أو تلبسها لباسا جديدا.

أنواع المفارقة:

تتنوع المفارقة إلى نوعين أساسيين وهما: المفارقة اللفظية واللا لفظية، والمفارقة اللفظية في أبسط تعريف لها هي شكل من أشكال القول يُساق فيه معنى ما في حين يُقصد منه معنى آخر، غالبًا ما يكون مخالفًا للمعنى السطحي الظاهر[23]. والمفارقة اللا لفظية أو الملحوظة: هي شيء يمكن في الأقل تَصوّر حدوثه، أو شعور بعض الشّيء بقوة اللّاوعي المطمئن لدى الضحية[24].

عناصر المفارقة:

تتحقق للمفارقة أغراض تواصلية خلال عناصر مفارقية منها مخطط الآتي[25]:

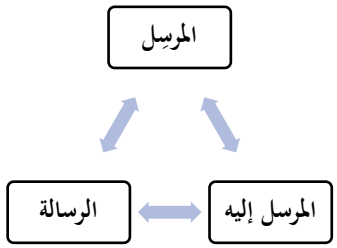

مكونات المفارقة:

ومما تراه يسرى عبدالرحمن أن المفارقة تتكون من مكونات ترمي بالشاعر إلى أن يتوفر في نصه الشعري ما يشد القارئ، إذ يرفض المتلقي المعنى الظاهر المتناقض المتنافر وذلك بدفعه للبحث عن

– شكوري سيد عدنان والآخرون، (2017)، **المفارقة التصويرية في الشعر السياسي عند نزار قباني**، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد 42، ص20.5

– مويك: د.س، (1987م)، **المفارقة وصفاتها**، ترجمة عبدالواحد لؤلؤة، الطبعة الأولى، بغداد، دار المأمون، ص42-21.43

– قاسم، سيزا (1982م)، **المفارقة في القص العربي المعاصر**، مجلة فصول، العدد الثاني، ص22.144

23 – قاسم سيزا، (1982م) ، المرجع السابق، 144.

– مويك د. سي، (1993م)، مرجع سابق، ص24.223

25 – خليل يسرى عبدالرحمن وسلامة أبو سنينة، (2015م)، **المفارقة في شعر الصّنوبري**، رسالة ماجستير قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب، جامعة الخليل، ص16.

خفائه؛ لذا حدا بالمبدع أن يُضمّن نصوصه الشعرية عناصر متنوعة تتحقق فيها المفارقة، وتتمثل في الآتي: **المفتاح وسيميائيته، الألفاظ ودلالتها والتباين والتخالف**[26].

مفهوم المقاربة التداولية لغويا:

دَوَلَ: العقبة في المال والحرب سواء، وقيل: الدُّولة بالضم، في المال، والدَّولة بالفتح في الحرب، وفي حديث أشراط الساعة: إذا كان المغنم دُولاً، أي مايتداول من المال فيكون لقوم دون قوم، وقال الزجاج: الدُّولة اسم الشيئ الذي يُتداول والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال.[27]

دَوَلَ: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرَّة لهم عليه، وعن الحجاج: إن الأرض ستدال منا كما أبانا منها، والدهر دولٌ وعقبٌ.[28]

يتجلى من معطيات السابقة أن التداولية لا تكاد تخرج من الانتقال المقامي والمقالي والحالي من مسار إلى مسار آخر؛ عن طريق التغير والتصرف، كما أن الحالة النفسية والاجتماعية مما يأثر على تغير الدلالي من وجه لوجهٍ للمداولة، ولا يُدرك هذا إلا بالسياق الذي يكون شعلة بين الدال والمدلول والترابط والاستبدال والوظائف الكلامية والثنائية المعنوية.

مفهوم المقاربة التداولية اصطلاحيا:

تُعد المقاربة التداولية بين تلك المناهج التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياقي في النص أو الخطاب ،وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب، مع التركيز على البعد الحجاجي والإقناعي وأفعال الكلام داخل النص. بمعنى أن التداوليات هي ذلك" العلم الذي يدرس المعنى، مع التركيز على العلاقة بين العلامات ومستعمليها والسياق، أكثر من اهتمامها بالمرجع أو بالحقيقة، أو بالتركيب".[29] وتهتم المقاربة التداولية أيضا بالمرجع والإحالة التي تم إقصاؤها من فرديناند دوسوسير الذي حصر العلامة في الدال والمدلول. ومن ثم، ترفض المقاربة التداولية في مجال الأدب والنقد التركيز البنيات الشكلية والجمالية، دون مساءلة أفعال الكلام والمقصدية الوظيفية. فضلا عن ذلك، تدرس المقاربة التداولية اللغة العادية واللغة اللاعادية (اللغة الشعرية، اللغة الروائية، واللغة الدرامية)..

وحضور الأنا والأنت، والسياق التواصلي، والوظيفة المقامية والمقالية، والانتقال من الحرفي إلى الإنجازي، ودراسة الحجاج في النصوص والخطابات التي يكون هدفها هو الإقناع الذهني والتأثير العاطفي الوجداني، وأيضا دراسة السرد الإقناعي كما عند غِريمَاسْ، وخاصة في خانة التطويع والتحفيز المبنية على فعل الاعتقاد، وفعل التأويل، وخانة الكفاءة المبنية على منطق الجهات (وجود الفعل، ومعرفة الفعل، وقدرة الفعل، وإرادة الفعل).[30]

فالمقاربة التداولية هي دراسة العلامات في علاقة مع مستعمليها. ومن ثم، ترتكز اللغة على ثلاثة مكونات ضرورية ومتكاملة حسب شَارِلْ مُورِيسْ، هي: التركيب، والدلالة، والوظيفة .أضف إلى ذلك ، للغة ثلاثة مظاهر: مظهر خطابي، ومظهر تواصلي، ومظهر اجتماعي. لذا، فالمقاربة التداولية هي التي تركز على

– خليل يسرى عبدالرحمن وسلامة أبو سنينة، (2015م)، المرجع السابق ص26.16

– ابن، منظور (1863م)، **لسان العرب**، الطبعة الأولى، الجزء الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص27.327

– الزمخشري، حجة الله (1998م)، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل وآخرون، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص28.303

29 حمداوي، جميل (2015م)، **التداوليات وتحليل الخطاب**، الطبعة الأولى، الناظور، المغرب، ص8

حمداوي، جميل (2015م)، المرجع السابق، الناظور، المغرب، ص308

الجانب التواصلي في اللغة الطبيعية، وتستند المقاربة التداولية كذلك إلى تخصصات عدة، فهناك- مثلا- تداولية تحليلية، وتداولية تلفظية، وتداولية نفسية- اجتماعية، وتداولية نصية، وتداولية سوسيولغوية.[31]

مفارقة ازدواج الإشارات:

تزدوج الإشارات السيموطيقة في اللغة والكلام، عندما ينحرف الشاعر من المألوف إلى اللامألوف، ليبسط تكنيكا مفارقيا، حيث يحصل ذلك بكثرة في الشعر الصوفي، كالعشق الإلهي والغزل النبوي، عندما يخلق الشاعر رموزا ذات دلالات متباينة المغزى ليتداول في جمالية لغوية مع متنافرات الألفاظ، تسلية للنفوس وترويحا للقوب، فتتساقط السيمائية المفارقية التداولية في نسق مفارقي جميل.

مفارقة الرموز الصوفية ومقارباتها التداولية:

تتميز اللغة الصوفية عما يعرفه علماء اللغة، بمميزات لغوية وبلاغية، حيث يعبر الصوفيون عن أغراضهم بلغتهم الخاصة للإشارة إلى مراميهم الذوقية وأحوالهم الروحية، ومواجيدهم النفسية، وتكتظ الرموز عند أهل الطريق، للتعبير عن الإشارات والتلويحات والتجربة القلبية والرقي الروحي، والإلهام الإلهي.[32]

يصور الشاعر ما عايشه من عوالم روحية ووجدانية ومثالية في مفارقة ذات مقاربة تداولية، فخلق من هذا المسار رموزا وأضفى عليها أسلوبا موشحا بالإشارات، حيث فتح نوافذ الجدال، بين عالم العلوم وعالم المعارف، إذ صرف المعاني الباطنية إلى الظواهر المرئية بدلائل خفية لا يظهر مغزاها إلا عند المتفحص البصير، فأصبحت هذه الرموز مرايا مادية في تمثيل حقائق معنوية.

وقد استخدم الشاعر مفارقة رمز المرأة والخمر، والطبيعة والصورة، والعبادات والحروف في قصائد؛ أي رسائله، التي دائما يعود مغزاها إلى الرمز الذهني والمجازي المفارقي، لأن غالبية الترميز تعود إلى الطبيعة فأحال الشاعر عن ذلك إلى ما هو أغرب وأجذب للعقل في معظم قصائده إجابة لمستجدات الصوفية وإرباكا لغرائز المتلقي، حتى وإن كان ذلك لا يجدي كما يذهب إليه الشاعر.

من أجل ذلك اختار الباحث بعض الأبيات التي تتحدث عن هذا المسار، وأجابت عما جابهت القادة الصوفية في رموزها المفارقية، ومن ذلك ما يلي:

ساق قلبي الحبيب نحو الطّلاء يستقي والأنا لدى هؤلاء
حلَّ بي حضرة يقال بأن الـ ـقدس اسمٌ لها من الأسماء
وسقتني سلافةً مذ سقاني ضلَّ عني الهدى وعزَّ شفائي
يا حبيب الفواد أذكِ لهيب الـ حُبِّ كي يبرحَ الأطبَّا حشائي.33

البنود التواصلية التداولية:

أ- ميدان التواصل: كيميائي، فيزيائي.
ب- شكل التواصل: إنشائي إخباري.
ت- نسبة التواصل: حديث عن الخمرة وسقيانها والنار ولهيبها.
ث- وظيفة التواصل: الرمز الصوفي (الخمر).
ج- القضايا التواصلية: ليعرف المتلقي ما ساق المرسل نحو الطلاء وما دار بينه وبين الخمرة ولهيب الفؤاد وحالة الأطباء.

---

31 – حمداوي، جميل (2015م)، المرجع السابق، ص31.8

32 – ينظر أحمد، حمادة (2014م)، **الرمز الصوفي بين الرؤية والإبداع الفني**، مجلة جامعة الوادي، كلية الإلهيات، الجزائر، دون العدد، ص276-280. نصر، عاطف جودة (1978م)، **الرمز الشعري عند الصوفية**، الطبعة الأولى، دار الأندلس، بروت لبنان، ص350-400.

33 – مقري إبراهيم أحمد، (2012م)، المرجع السابق، ص23.

ح- الشفرة: نسبة الخمر إلى التقديس، والقلب إلى الضلال، وعدم قدرة الأطباء وجود شفاء للمفؤد أي المرسل.

شرح الأبيات وإبراز ما فيها من المفارقة اللغوية:

ينشّط الشاعر سامعيه برسالة ذات رموز خمرية عن طريق المفارقة الرمزية في مقارباتها التداولية، وقد أخذ الشاعر النظرة الميتافيزيقية إلى الواقع الشعري الجيوفيزي، حيث صور السكر الناتج عن الخمر المادية إلى السكر الصوفي المعنوي الناتج عن العرفان الرباني، يصحبها انبلاج شعري.

حل الحبيب محل حضرة القدس؛ من حضرات الله سبحانه وتعالى، فناوله الحبيب الخمر التي حلت محل الحب والعشق الخالص، كيف لا وقد نهج الشاعر نهج شعراء الصوفية القدامى، حيث إن سكران الهوى وهيمان العاشق ووله الحبيب، يتماشى مع سكران مدمن الخمر وهيمان الصاحي، في قلب المجذوب الذي ترقى إلى الكشف الإلهي من المحسوس الجيوفيزي إلى الميتافيزيقي، فيجد نفسه إذا فنى هيمانا سكرانا.

حيث حاول الشاعر الربط بين عالم الحق والروح المتمثل في الأحوال والكشف والترقي بعالم المثالي المتمثل في العنب والخمر والسكران عن طريق مفارقة الرموز الصوفية في مقاربة تداولية، لتمثيل النشوة والطرب واستخفاف الحبيب، بالفناء في الله ورسوله.

وقد صبَّ في كأس المتيَّم ماؤها فأشربَ لون الماء حين يُصبَّب
إذا قلت قولا كان قولي قولها ولم يك إلا قولتي إذ تعرب
وإذ نحن فيما نحن أفجر سرنا فقمت وقامت والدُّموع تُصبَّب
تقول اصطبر هجريك هجر مواصل فقلبك في ظعني إذ الرَّكب تضرب
وأقسم بالعهد الَّذي كان بيبننا يصان وعهد الحُبِّ أولى وأعجب.34

البنود التواصلية التداولية:

أ- ميدان التواصل: كيميائي، فيزيائي.

ب- شكل التواصل: إنشائي إخباري.

ت- نسبة التواصل: حديث عن صفات الخمر ومناجاة الحبيبة وعهد الحب.

ث- وظيفة التواصل: الرمز الصوفي (الخمر).

ج- القضايا التواصلية: ليعرف المتلقي صفة الخمر عندما تصب في الكوب، وحالة العشيقين عندما يحدث الهجران وقوة ميثاق الحب.

ح- الشفرة: نسبة لون الخمر إلى الكوب، نسبة تزراف الدموع إلى الانصباب، نسبة زيادة الوصل عند الهجران.

شرح الأبيات وإبراز ما فيها من المفارقة اللغوية:

يستمر الشاعر في إرفاق مفارقاته رموزا خمرية، حيث مثل الحبيب بتصبيب ماء الخمر في كؤس الشاعر حتى مازج لون الخمرة لون الكأس، وكأنه في تمثيلية تداولية مع الحبيب، حتى حل الحبيب محل الخمرة، إذ المخمور يتنشط عند شرب الخمرة، فيذهب العقل، فتراه يتحدث مع نفسه، في وسوسة مغرية.

جسد الشاعر السنفونية الدرامية المفارقية بالعقل اللاواعي، ليفجِّر للمتلقي بحرا تداوليا على هيمنته الرمزية بشفرتها الصوفية، فكيف الخمرة تقوم وتتحدث وتدمع ويكون لها الصدر والوعد والميثاق، فهذا التجوال الرمزي لا يتجافى عن الغزل النبوي، الذي يجسد فيه الشاعر أحواله الباطنية الروحية بالأحوال الظاهرية المادية التي غالبا ما يكون مرجعها إلى المعاصي والمحارم، إلا أن الشاعر بادر بذكر القرائن

34- مقري، إبراهيم أحمد (2012م)، المرجع السابق، ص115.

اللفظية حينا والمعنوية حينا آخر حيث يتقارب إلى المفارقة بالتداولية ليجسد تنافرا وتضادا ليوحي إلي المتلقي ذوقه العرفاني ومدده الإلهي في هذا المنحى.
كما أنه تتكشف المعاني العميقة لدى الشاعر عند سبر أغوار الرسالة، إلا أن المتلقي لا يعثر عليها مباشرة حتى يأخذ وقتا طويلا لفك شفراتها التداولية، وكذلك إن الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى والسنة النبوية عليه الصلاة والسلام، هو المنبع الأوحد للسرور والابتهاج وإزالة الغموم.
إلا أن الشاعر انزاح عنه إلى الخمرة التي هي مرجع الغموم والهموم ليستنتج مقاربة تداولية ذات تضافر تنافري، بين الخمر المادية التي حرمها الله سبحانه وتعالى، والخمر المعنوية التي هي حب النبي الأكرم.

الخاتمة:

تناول البحث نبذة عن الشاعر ونشأته، وشاعريته ومراحلها ومكوناتها، وخصائص الديوان، وكذلك تطرق البحث إلى مفهوم المفارقة في اللغة والاصطلاح، وأنواع المفارقة، وعناصرها، ومكوناتها، كما أن البحث عالج مفهوم المقاربة التداولية في اللغة والاصطلاح، ثم تناول مفارقة ازدواج الإشارات ومقارباتها التداولية في شعر إبراهيم أحمد مقري، مفارقة الرموز الصوفية الخمر أنموذجا، ومن أبرز ما توصل البحث ما يأتي:

1- أن الشاعر أخذ النظرة الميتافيزيقية إلى الواقع الفيزيائي، حيث صور السكر المادي الناتج عن الخمر إلى السكر المعنوي الناتج عن العرفان الرباني، فربط بين العوالم الروحية المتمثلة في الكشف والأحوال والرقي والعوالم المادية المتمثلة في العنب والخمر والسكران لتمثيل النشوة والطرب بالفناء الصوفي في الله ورسوله.
2- أن الشاعر جسد السنفونية الدرامية المفارقية بالعقل اللاواعي في الرمز الخمري ليفجر للمتلقي بحرا تداوليا يحمل في بوتقته تشفيرا دلاليا.
3- وأن الشاعر يرسم في شعره مفارقة مملوءة بالتناقض اللفظي والمعنوي، حيث انتشى الأحوال الباطنية الروحية بالأحوال الظاهرية المادية، التي غالبا ما يكون مرجعها إلى المعاصي والمحارم، إلا أنه ربطها بالقرائن السطحية والعميقة يعثر عليها المتلقي بعد التأويل والتفسير الدقيق.

المراجع:

- ابن، منظور (1863م)، **لسان العرب**، الطبعة الأولى، الجزء الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- أبه، أبوبكر علي (2016م)، **الشعر العربي في إمارة زاريا _ نيجيريا _ دراسة بيانية لأسلوب التشبيه في بعض أشعار إبراهيم أحمد مقري زاريا**، المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية، الإمارات العربية المتحدة دبي.
- أبي الفرج قدامة بن جعفر (1956م)، **نقد الشعر**، تحقيق: خفاجي محمد عبدالمنعم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تجاني يوسف **(2014م) "المطابقة النحوية ودلالتها دراسة تطبيقية على شعر إبراهيم أحمد مقري"** رسالة الدكتوراه، معهد اللغة العربية جامعة الدول العربية، مصر.
- حمداوي، جميل (2015م)، **التداوليات وتحليل الخطاب**، الطبعة الأولى، الناظور، المغرب.
- خليل يسرى عبدالرحمن وسلامة أبو سنينة، (2015م)، **المفارقة في شعر الصّنوبري**، رسالة ماجستير قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب، جامعة الخليل.
- الزمخشري جار الله محمود، (1998م)، **أساس البلاغة**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، الجزء الثاني، بيروت لبنان.
- الزمخشري، حجة الله (1998م)، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل وآخرون، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- سجاد أبوبكر ناصر، **(2016م)، "البنية الإيقاعية وتشكيل الدلالة الشعرية في ديوان العشاريات للسيّد إبراهيم مقري"**_رسالة الدكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها جامعة بخت الرضا السودان.
- شكوري سيد عدنان والآخرون، (2017)، **المفارقة التصويرية في الشعر السياسي عند نزار قباني**، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد 42.
- عمر محمد الأول، (2019م)، **تجليات الإقتباس القرآني "في جمع الخردة في تخميس البردة " شعر إبراهيم أحمد مقري "دراسة بلاغية تطبيقية"** مجلة الرانق، العدد الرابع.

- الفراهيدي الخليل بن أحمد، (2003م)، **كتاب العين مرتبا على حروف المعجم**، تحقيق: هنداوي عبدالحميد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، الجزء الثالث، بيروت لبنان.
- قاسم، سيزا (1982م)، **المفارقة في القص العربي المعاصر**، مجلة فصول، العدد الثاني.
- مقري، إبراهيم أحمد (2012م)، **خلاصة العشرينيات**، الطبعة الأولى، دار الاتحاد، القاهرة.
- مويك: د.س، (1987م)، **المفارقة وصفاتها**، ترجمة عبدالواحد لؤلؤة، الطبعة الأولى، دار المأمون، بغداد.